باب
سماع القرآن

قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى: ﴿وإذا قُرِىءَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] وقَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] وقَالَ: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] أَي: تَطْمَئِنَّ وتَسْكُنَ إلى كلامِهِ.

١١٨٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَليَّ» قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٥٦)، ومسلم (٨٠٠).

وأخرجه البخاري عن محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان، عن الأعْمَش بهذا الإسناد، وقال: فقرأتُ عليه سورةَ النساءِ حتى أتيتُ إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وجِئنَا بِكَ على هؤلاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١] قال: «حَسْبُكَ الآنَ» فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تَذرِفَانِ.

أخرجه مُسْلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كُرَيْبٍ عن حَفْص بن غياث، وأخرجه عن هناد بن السَّرِي، عن علي بن مُسْهِرٍ، عن الأعمش بهذا الإسناد، وقال: قال لي رسولُ الله ﷺ وهو على المنبر «اقْرَأْ عَليَّ».

ورُوِي: أن النبيَّ ﷺ قال لأبي موسى: «استَمعْتُ قِراءَتَكَ اللَّيْلَةَ، لَقَد أوتِيْتَ مِزْماراً مِنْ مَزامِيْرِ آلِ داودَ» قال: يا رسولَ الله: لو عَلِمْتُ مكانَكَ لَحَبَّرْتُ لك تَحبيراً. أخرجه بنحوه مسلم (٧٩٣) وغيره.

ورُوي: أن عمر كان يقول لأبي موسى: ذَكِّرْنا رَبَّنَا، فيقرأ أبو موسى ويتلاحَنُ.

وعن ثابت قال: كان أنس بن مالك إذا أشفى على خَتْمَةِ القرآنِ بالليل بَقَّى مِنْهُ شَيْئاً حتَّى يُصْبحَ، فَيَجْمَعَ أَهْلَهُ فَيَخْتِمَهُ مَعَهُمْ. أخرجه الدارمي ٢/٤٦٨ وفي سنده ضعف. وأخرجه أيضاً بسند صحيح عن ثابت قال: كان أنس إذا ختم القُرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

وعن مُصْعب بن سعد، عن سعد قال: إذا وَافَقَ خَتْمُ القرآنِ أوَّلَ اللَّيْلِ صلَّت عليه الملائكةُ حتَّى يُصبحَ، وإن وافق ختْمُهُ آخِرَ الليل صلَّتْ عليه حتى يُمسي، فربَّما بقي على أحدِنا الشَّيءُ فيؤخِّره حتى يُمسيَ أو يصبحَ.

وأخرجه الدارمي ٢/٤٦٩ بسند صحيح إلى عبدة بن أبي لبابة الأسدي التابعي قال: إذا ختم الرجل القُرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإن فرغ منه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يُصبحَ.

باب

تَعهُّدِ القرآن ووعيد مَنْ نَسِيَه

قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى: ﴿ومَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤]. قال ابن كثير في «التفسير» ٣/١٧٧: أَي: خالف أَمري وما أنزلته على رسولي، وأَعْرَضَ عنه وتناساه وأَخَذَ من غيره هُداه. وقوله تعالى: ﴿فإنَّ له معيشةً ضَنْكاً﴾ أي: فلا طمأنينةَ له ولا انشراحَ لصدره، بل صدرُهُ ضَيِّقٌ حَرِجٌ لضَلاله وإنْ تنعمَّ ظاهرُهُ، ولبس ما شاء وأَكل ما شاء، فإنَّ قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في حيرة وتردُّد.

١١٨٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّما مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْها أَمْسَكَها، وإِنْ أَطْلَقَها ذَهَبَتْ**».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩).

المعقَّلَة: التي حُبِسَت بالعِقَال.

قال ابن عبد البَرِّ في «التمهيد» ١٤/ ١٣١: في هذا الحديث التعاهُدُ للقرآن ودَرْسُه والقيامُ به، وفيه الإخبارُ أَنَّه يذهَبُ عن صاحبه وينساه، إنْ لم يتعاهَدْ عليه وَيَقْرَأْه ويُدْمِنْ تلاوته، وقد جاءَ عنه ﷺ وعيدٌ شديدٌ فيمن حَفِظ القرآنَ، ثم نَسِيَه، كلُّ ذلك حضٌّ منه على حِفْظِهِ والقيامِ به.

وعلى أَنَّ مَنْ لم يتعاهد عِلْمَهُ ذهب عنه، أيَّ علم كان، لأَنَّ عِلْمَهم كان ذلك الوقت القرآنَ لا غيْرَ، وإذا كان القرآنُ الميَسَّرُ للذكرِ يذهبُ إنْ لم يُتعاهَد، فما ظَنُّكَ بغيره من العلوم المعهودة!! وخيرُ العلومِ ما ضُبِطَ أَصْلُهُ، واستُذْكِرَ فَرْعُه، وقاد إلى الله تعالى، ودلَّ على ما يَرْضاه.

١١٨٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**بِئْسَمَا لأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيْتُ آيَةَ كَيْتَ وكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، واسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

قوله: «نُسِّيَ» أي: عوقِبَ بالنسيان على ذنب أو سوءِ تعهده للقرآن، قال أبو عبيد: إنما هو على التارك لتلاوةِ القرآن، الجافي عنه، يبينُ ذلكَ قوله: «واستذكِروا القرآن».

قال الضحاك بنُ مُزاحِم: ما مِنْ أحدٍ تعلَّمَ القرآن ثم نسيه إلا بذنب يُحدِثُه، وذلك أن الله تعالى يقولُ: ﴿ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ونسيانُ القرآن من أعظم المصائب.

قال أبو عبيد: فأما الذي هو حريصٌ على حفظه، دائبٌ في تلاوته، إلا أن النسيانَ يَغْلِبُهُ، فليس مِن ذلك في شيء، بدليلِ ما روي عن عائشة: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ بالليل، فقال: «يَرْحَمُهُ اللهُ فَقَدْ أَذْكَرَني كَذَا وكَذَا آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُها» أخرجه البخاري (٥٠٣٧)، ومسلم (٧٨٨).

قوله: «أشد تفصِّياً» أي: ذهاباً وانفلاتاً، وكلُّ شيء كان لازماً لشيء فَفُصِلَ منه، قيل: تفصَّى منه كما يتفصَّى الإنسان من البلية أي: يتخلص منها.

قال الخطابي في قوله: «بل نُسِّي» يَحتَمِلُ أن يكونَ ذلك خاصاً في زمان رسول الله ﷺ يعني فيما نُسِخَتْ تلاوتُه، ويكونُ معنى قوله: «نسي» أي: نُسِخَتْ تلاوتُه، نهاهم عن هذا القولِ، لئلا يُتَوَهَّمَ الضَّيَاع على محكَمِ القرآن، فأعلمهم بأنَّ ذلك مِنْ قِبَل الله لما رأى فيه من الحكمة يعني نسخَ التلاوة.

باب

في كم يقرأ

١١٨٧ - عن أبي بردة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو قَالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ في كَمْ أَخْتِمُ القُرْآنَ؟ قَالَ: «اخْتِمْهُ في شَهْرٍ» قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ إنّي أُطِيْقُ، قَالَ: «اخْتِمْهُ في خَمْسٍ وعِشْرِينَ»، قُلْتُ: إنِّي أُطِيْقُ، قَالَ: «اخْتِمْهُ في خَمْسَةَ عَشَرَ»، قُلْتُ: إنّي أُطِيْقُ، قَالَ: «اخْتِمْهُ في عَشْرٍ، قُلْتُ: إني أُطِيْقُ، قَالَ: «اخْتِمْهُ في خَمْسٍ»، قُلْتُ: إنِّي أُطِيْقُ، قَالَ: «لا».

هذا حديث صحيح غريب من حديث أبي بردة، عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه الدارمي في «سننه» ٢/٤٧١، والترمذي (٢٩٤٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح يستغرب من حديث أبي بردة، عن عبدالله بن عمرو.

قال البغوي رحمه الله: وقد صحَّ عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر» قال: قلت: إني أجِدُ قوةً، قال: «فاقْرَأهُ في عشرين ليلةً»، قال: قلت: إني أجِدُ قوةً، قال: «فاقرأه في سَبْعٍ، ولا تَزِدْ على ذلك» أخرجه البخاري (٥٠٥٤).

وروي عن وهب بن منبِّه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أَنَّ النبيَّ ﷺ أمره أن يقرأ القرآنَ في أربعين. أخرجه الترمذي (٢٩٤٨) بإسنادٍ صحيح.

قال محمد بن إسماعيل: قد قال بعضهم: في ثلاثٍ، وفي خمسٍ، وأكثرهم على سبع.

قال البغوي رحمه الله: الاختيارُ عند أكثر أهل العلم الترتيلُ في القراءة. قال إسحاق بن إبراهيم: لا نُحِبُّ للرجل أن يأتيَ عليه أكثرُ من أربعين يوماً. ولم يقرأ القرآنَ، للحديثِ.

وقال بعضُ أهلِ الحديث: لا يُقْرَأ في أقلَّ من ثلاث.

وروي عن عبد الله بن عمرو: أنَّ النبي ﷺ قال: «لَم يَفْقَهْ مَنْ قرأ القرآن في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ» أخرجه أبو داود (١٣٩٤) والترمذي (٢٩٥٠) بإسنادٍ صحيح.

وقال عبد الله بن مَسْعود: من قرأ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثٍ، فهو راجز. أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» بإسناد صحيح.

ورخَّص بعضُ أهل العلم فيه، روي عن عثمان: أنه كان يقرأ القرآنَ في ركعة يُوتِرُ بها. أخرجه الطحاوي والبيهقي ٣/ ٢٥ بإسنادٍ صحيح.

وعن سعيد بن جُبَيْر: أنه قرأ القُرْآنَ في ركعة في الكعبة. أخرجه الطحاوي ١/٣٤٨ من طريق سفيان الثوري، عن حماد، عن سعيد بن جُبَير: أنه سمعه يقول: قرأت القرآن في ركعة في الكعبة.

وعن تميم الداري أنه كان يقرأ القرآن في ركعة. أخرجه الطحاوي ١/٣٤٨ من طريق عاصم بن سليمان، عن محمد بن سيرين قال: كان تميم الداري يحيي الليل كله بالقرآن كله في ركعة.

باب

١١٨٨- عَنْ جُنْدَب بنِ عَبْدِ اللهِ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ مَا ائتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، وإذا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ».

هذا حديث متفق على صحته، أَخرجه البخاري (٥٠٦٠)، ومسلم (٢٦٦٧).

قوله: «وإذا اختلفتم» أي: في فهم معانيه، «فقوموا عنه» أَي: تفرَّقوا لئلاَّ يتمادى بكم الاختلافُ إلى الشرِّ. أُمِروا بالتمسُّك بالمَحكَم الموجِب للأُلْفَةِ، ونُهوا عن الاختلاف المُفْضي إلى الفرقة.

باب

قول النبي ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف

١١٨٩- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيْدُهُ، ويَزِيدُني حَتَّى انْتَهَى إلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وأنَّما هَذِهِ الأَحْرُفُ في الأَمْرِ الوَاحِدِ الذي لَيْسَ يَخْتَلِفُ في حَلالٍ ولا حَرَامٍ.

هـذا حديث متفق على صحته، أَخرجه البخاري (٤٩٩١)، ومسلم (٨١٩).

١١٩٠- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بن عَبْدٍ القَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ ابنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بنَ حَكِيْمِ بنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ على غَيْرِ ما أقرؤها، وكان رَسُولُ الله ﷺ أَقْرَأَنِيْها، فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْه، ثُمَّ أَمْهَلْتُ حَتَّى انْصَرَفَ ثم لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إنِّي سَمِعْتُ هٰذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقانِ على غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيها، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ»، فَقَرَأَ القِراءَةَ الَّتِي سَمِعْتُه يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰكَذَا أُنْزِلَتْ» ثُمَّ قَالَ لي: «اقْرَأْ» فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هٰكذا أُنْزِلَتْ، إنَّ هٰذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».

هـذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨).

قوله: «لَبَّبْتُه بردائه»: إذا قبض عليه يجرُّه.

١١٩١- عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ في المَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُها عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِه، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاَةَ دَخَلْنا جَمِيْعاً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إنَّ هٰذا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُها عَلَيْهِ، ودَخَلَ آخَرُ، فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِه، فَأَمَرَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُما، فَسُقِطَ في نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ ولا إذْ كُنْتُ في الجَاهِلِيَّةِ. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي، ضَرَبَ في صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقاً،

obeikandl.com

وكَأَنَّما أَنْظُرُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقاً، فَقالَ لي: «يا أُبَيُّ أُرْسِلَ إليَّ: أنِ اقْرَإِ القُرْآنَ على حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إليه: أَنْ هَوِّنْ على أُمَّتي، فَرَدَّ إليَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ على حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إليه: أَنْ هَوِّنْ على أُمَّتِي، فَرَدَّ إليَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ على سَبْعة أَحرُفٍ، ولَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكها مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيها، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إليَّ الخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٨٢٠).

قوله: «فسقط في نفسي من التكذيب» يعني أَنَّه اعترته حَيْرَةٌ ودَهْشَةٌ لأَنَّ الشيطانَ نَزَغَ في نفسِه تكذيباً لم يعتَقِده، ولكنَّ هذه النزغَةَ لم تستمرَّ بل زالت في الحال حين ضربَ النبي ﷺ في صدره، ففاضَ عَرَقاً.

١١٩٢- عَنْ أَبي جُهَيْم الأَنْصارِيِّ: أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَمارَيا في آيةٍ مِنَ القُرْآنِ كِلاَهُما يَزْعُمُ أَنَّهُ تَلَقَّاهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَتَمَاشَيَا جَمِيعاً حَتَّى أَتَيا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَكِلاهُما ذَكَرَ لِرَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُما سَمِعَا مِنْهُ، فَذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ هٰذَا القُرْآنَ نُزِّلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلا تُمارُوا في القُرْآنِ، فَإنَّ مِراءً فيهِ كُفْرٌ».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٧٥٤٢)، والطبري في «تفسيره» ١/ ١٩، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٣٣٧ و٣٥٤.

و«المراءُ»: الجِدالُ. والمرادُ بالكُفرِ: كُفْرُ النعمة لا الكفر المُخْرِج من الملَّة، خَرَج مَخْرَج التهديد للزجر والرَّدْعِ.

١١٩٣- عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلاً قَرَأَ، وسَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلافَها، فَجِئْتُ بهِ النَّبيَّ ﷺ، فَأخبَرْتُه، فعَرَفْتُ في وَجْهِه

الكَرَاهِيَةَ، وقَالَ: «كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، فَلا تَخْتَلِفوا، فَإنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٤١٠)، وأحمد (٣٩٠٨).

قال الإمام البغوي رحمه الله: قد اختلف أهلُ العلم في هذه الأحرفِ السبعة وأكثروا فيه القولَ، فقال قومٌ: هو وعدٌ، ووعيدٌ، وحلالٌ، وحرامٌ، ومواعظُ، وأمثال، واحتجاج.

وقال قوم: هو أمرٌ، ونَهْيٌ، وحَظْرٌ، وإباحَةٌ، وخبرُ ما كان وما يكون، وأمثال.

وأظهرُ الأقاويلِ وأصحُّها وأشبهُهَا بظاهرِ الحديثِ أنَّ المرادَ من هذه الحروف اللغاتُ، وهو أن يقرأه كلُّ قوم من العرب بلغتهم، وما جرتْ عليه عادتُهم من الإدغام، والإظهار، والإمالة، والتفخيم، والإشمام، والإتمام، والهمز، والتليين، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة.

قال ابن مَسْعُودٍ: إنما هو كقولِ أحدهم: هلمَّ وتعالَ وأقبل. ثم فسره ابن سيرين فقال: في قراءة ابن مسعود «إن كَانت إلا زقيةً واحدة» وفي قراءتنا ﴿إلا صيحة واحدة﴾ والمعنى فيها واحد. أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٨) بلفظ قال عبد الله: «إني سمعت إلى القَرَأَةِ، فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال، وإسناده صحيح، وقال ابن جرير رحمه الله ١/ ٥٠ بعد أن ذكر خبر أبي بكرة ـ سيأتي ص٢٦١ ـ: فقد أوضح نصُّ هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظٍ، كقولك: هلم وتعال، باتفاق المعاني، لا باختلاف معانٍ موجبةٍ اختلافَ أحكامٍ، وهذا الذي ذهب إليه الطبري هو قول أكثر أهل

العلم، منهم سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، والطحاوي، وقال غير واحد من أهل العلم: إن ذلك كان رخصة في أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر، وتيسر الحفظ، وكثرة الضبط، وتعلم الكتابة.

وقال أبو عبيد في «فضائل القرآن»: ٢٠٣: سبعة أحرف: يعني: سبعَ لغاتٍ مِنْ لغاتِ العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعُ لغات، ولكن هذه اللغات السبع متفرقةٌ في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة هُذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائرُ اللغات ومعانيها في هذا كلِّه واحِدةٌ، معناه: أنزل القرآنُ مأذوناً للقارىء أن يقرأ على أيِّ هذه الوجوه شاء، قالوا: وكان ذلك توسعةً من الله عز وجلَّ ورحمةً على هذه الأمة، إذ لو كُلِّفَ كُلُّ فريق منهم تَرْكَ لغتهم، والعُدولَ عن عادة نشؤوا عليها إلى غيرها، لشَقَّ عليهم، يدلُّ عليه ما روي عن أُبيِّ بن كعْبٍ أنه قال: لقي رسولُ الله ﷺ جِبْريلَ، فقال: «يا جِبْرِيلُ إني بُعِثْتُ إلى أُمَّة أميين، منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغلامُ، والجاريةُ، والرجلُ الذي لم يقرأ كتاباً قطُّ، قال: يا محمدُ إن القرآنَ أنزِلَ على سبعة أحرف» أخرجه الترمذي (٢٩٤٥) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح. وأَخرجه بنحوه أحمد ١٢٢/٥، والطيالسي برقم (٥٤٣) وإسناده حسن.

وفيه دليل على أن المرادَ من الحروفِ اللغاتُ، إذ لو كان المراد منها الأمرَ والنهيَ، والوعدَ والوعيدَ، لم يكن بعضُ الوجوه أيسرَ مِنْ بعض في القراءة والتلاوة، ولأن النبي ﷺ قال: لكل واحد من القارئين: «هكذا أنزلت»، ولو كان الاختلافُ بينهما في حلال، أو حرام، أو وعد، أو وعيد، أو خبر، لم يجز أن يصدقهما جميعاً، لِمَا يتضمنُ ذلك من الخُلْفِ والتناقض، وكلام الله سبحانه وتعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك.

قال رحمه الله: ولا يكونُ هذا الاختلافُ داخلاً تحت قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غير اللهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتِلافاً كَثيراً﴾ [النساء: ٨٢] إذ ليس معنى هذه الحروفِ أن يقرأ كلُّ فريق بما شاء فيما يوافق لغتَه من غير توقيف، بل كُلُّ هذه الحروف منصوصة، وكلها كلام الله نزل به الروحُ الأمينُ على الرسول ﷺ، يدلُّ عليه قولُه ﷺ: «إنَّ هذا القُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعةِ أحرف» فجعل الأحرفَ كلها منزَّلة، وكانَ رسولُ الله ﷺ يُعارِضُ جبريل في كل شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن، فيحْدُثُ الله فيه ما يشاءُ، وينسخ ما يشاء وكان يعرض عليه في كل عَرْضَةٍ وجهاً من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآنَ به، وكان يجوزُ لرسول الله ﷺ بأمر الله سبحانه وتعالى أن يقرأ ويُقْرِىءَ بجميعِ ذلك، وهِيَ كلُّها متفقةُ المعاني، وإن اختلفَ بعضُ حروفها، كما رويَ عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه: أن جبريلَ قال لرسول الله ﷺ: «اقرإِ القرآنَ على حرفٍ» فقال له ميكائيل: استزِدْه، فقال: على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، كقولك: هلُمَّ وتَعَالَ ما لم يَخْتِمْ آيةَ رحمة بآيةِ عذاب، وآيةَ عذابٍ بآية رحمة» أخرجه أحمد (٢٠٥١٤) وفي إسناده علي بن زيد ابن جُدْعان سيّىء الحفظ.

وعن أُبيٍّ بن كعب قال: قال النبي ﷺ: «يا أُبَيُّ إني أُقرِئتُ القرآن. فقيل لي: على حرف أو حرفين؟ فقال الملَكُ معي: قل: على حرفين. فقلتُ: على حرفينِ فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك: قل: على ثلاثة أحرف، قلتُ: على ثلاثة أحرف، حتى بلغَ سبعةَ أحرف، ثم قال لي: ليسَ منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آيةَ عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب» أخرجه أبو داود (١٤٧٧) بإسنادٍ قوي.

وكان الأمرُ على هذا حياةَ رسولِ الله ﷺ، وبعده كانوا يقرؤون بالقراءاتِ التي أقرأهم رسولُ الله ﷺ ولقّنَهُمْ بإذن الله عز وجل، إلى أن وقع الاختلافُ

بين القُرَّاءِ في زمن عثمان بن عفان، واشتد الأمرُ فيه بينهم حتى أظهر بعضهم إكفارَ بعض والبراءة منه، وخافوا الفُرْقة، فاستشار عثمانُ الصحابةَ في ذلك، فجمع الله سبحانه وتعالى الأمةَ بحسن اختيار الصحابة على مُصحفٍ واحد هو آخِرُ العَرَضَاتِ مِنْ رسول الله ﷺ كان أبو بكر الصديق أمرَ بكِتْبَتِهِ جَمْعاً بعد ما كان مفرَّقاً في الرِّقاع بمشورة الصحابة حين استَحرَّ القتل بقُرَّاءِ القرآن يومَ اليمامة، فخافوا ذهابَ كثيرٍ من القرآن بذهاب حَمَلَتِه، فأمر بجمعه في مُصحف واحد، ليكون أصلاً للمسلمين، فيرجِعُونَ إليه ويعتمدون عليه، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمعَ القومَ عليه، وأمر بتحريق ما سواه، قطعاً لمواد الخلاف، فكان ما يخالف الخطَّ المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورُفعَ منه باتفاق الصحابة.

والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظُ من الله عز وجل للعباد، وهو الإمام للأمة، فليس لأَحدٍ أن يعدُوَ في اللفظ إلى ما هو خارِجٌ من رسم الكتابة والسواد.

فأما القراءةُ باللغات المختلفة، فما يوافِقُ الخط والكتابَ فالفُسْحَةُ فيها باقية، والتوسِعةُ قائمة بعد ثبوتها وصحتها بنقل العدول عن الرسول ﷺ على ما قرأ به القُرَّاءُ المعروفون بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم.

روي عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن زيد بن ثابت، قال: القراءة سُنَّةٌ متبعة، وأراد به -والله أعلم- أَنَّ اتباعَ مَنْ قبلنا في الحروف وفي القراءة سنة متبعة لا يجوزُ فيها مخالفةُ المصحف الذي هو إمامٌ، ولا مخالفة القراءة التي هي مشهورة، وإن كان غيرُ ذلك سائغاً في اللغة، أجمعت الصحابة والتابعون فَمَنْ بَعْدَهُم على هذا أن القراءة سُنَّة، فليس لأحد أن يقرأ حرفاً إلا بأثرٍ صحيح عن رسول الله ﷺ موافقٍ لخط المصحف أخذه لفظاً وتلقيناً.

وقوله في الحديث: «كلُّها شافٍ كافٍ» يريد -والله أعلمُ- أَنَّ كلَّ حرف من هذه الأحرف السبعة شافٍ لصدور المؤمنين، لاتفاقها في المعنى، وكونها من عند الله وتنزيله ووحيه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًىَ وشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] وهو كافٍ في الحجة على صدق رسول الله ﷺ لإعجاز نَظْمه، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب

جمع القرآن

١١٩٤- عن الزهري، عن عُبيد السَّبَّاق، عَنْ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمامَةِ، وعِنْدَهُ عُمَرُ، قَالَ أبو بَكْرٍ: إنَّ عُمَرَ أَتاني، فَقَالَ: إنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وإني أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ في المَواطِنِ كُلِّها، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثيرٌ، وإنِّي أَرى أَنْ تَأمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ الله ﷺ؟ فقالَ عُمَرُ: هُوَ واللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُني في ذٰلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، ورأَيْتُ في ذٰلِكَ الَّذي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبو بَكْرٍ: وإنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ واجْمَعْهُ، قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفَني نَقْلَ جَبَلٍ من الجِبَالِ مَا كانَ بأثْقَلَ عَلَيَّ مِما كَلَّفَني مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلانِ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ الله ﷺ؟! قَالَ أَبو بَكْرٍ: هُوَ واللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ يَحُثُّ مُرَاجَعَتِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي للَّذي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أبي بَكرٍ وعُمَرَ ورأيتُ في ذٰلك الذي رَأَيا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ،

والرِّقَاعِ، واللِّخَافِ، وصُدُورِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ إلى آخِرِها مَعَ خُزَيْمَةَ، أَو أَبي خُزَيْمَةَ في سُورَتِها، وكانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبي بَكْرٍ حَياتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حياتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ.

قال محمد بن إسماعيل: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب بهذا الإسنادِ مثلَه، وقال: «مع أبي خزيمة الأنصاريِ» وقال محمد بن إسماعيل: أخبرنا أبو اليَمان، أخبرنا شُعَيْب، عن الزُّهْري بهذا الإسناد، وقال: «مَعَ خُزَيْمة الأنصَارِيِّ».

هذا حديث صحيح، أَخرجه البخاري (٧١٩١).

قوله: «استحرَّ القتلُ» أي: كَثُرَ واشتد، ويُنسبُ المكروهُ إلى الحر، والمحبوبُ إلى البرد، ومنها المثل: فَوَلِّ حارَّها من تولَّى قارَّها.

والعُسُبُ: جمع عسيب وهو سَعَفُ النخل.

واللخاف قال أبو عبيد: واحدتها لَخْفَةٌ، وهي حِجارة بيض رِقاق.

والذي فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو قيامٌ بفَرْضٍ كفائي لقوله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن» فكُلُّ أَمْرٍ يرجع لِحِفْظِه وإحصائه فهو واجبٌ على الكفاية، وكان ذلك من النصيحة لله ورسوله وكتابه.

١١٩٥- عن الزهري، أخبرنا خَارِجَةُ بنُ زَيْدِ بن ثَابتٍ: أَنَّ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ قَالَ: لما نَسَخْنَا الصُّحُفَ في المَصَاحِفَ، فَقَدْتُ آيةً مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَؤُها، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إلا مَعَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ الَّذي جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ﴿مِنَ المُؤمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

obeikandi.com

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٤٧٨٤).

قوله: «لم أجدها مع أحدٍ إلا مع خزيمة» ليس فيه إثباتُ القرآن بقول الواحد، لأنَّ زيداً كان قد سَمِعَها، وعلِمَ موضعها من سورة الأحزاب بتعليم النبي ﷺ، وكذلك غيرُه من الصحابة، فمنهم من نسيها، فلما سمع ذكر، وتَتَبُّعُهُ الرجالَ في جمعه كان للاستظهار، لا لاستحداثِ العلم، فقد صح عن أنس أنه سئل: مَنْ جَمَعَ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: أربعةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبيُّ بنُ كَعْبٍ، ومُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وزَيْدُ بنُ ثابتٍ، وأبُو زَيْدٍ. أخرجه البخاري (٥٠٠٣).

وفي رواية عند البخاري (٥٠٠٤): وأبو الدَّرْدَاء، ومُعاذُ بن جَبَلٍ، وزَيْد، وأبو زيد وقد شَرِكَهُم غيرُهم فيه، وإن كان هؤلاء أشدَّ اشتهاراً.

وصح عن النبي ﷺ قال: «اسْتقرؤوا القُرْآن مِنْ أَرْبَعةٍ: عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، وسَالمٍ مَوْلى أبي حُذَيْفَةَ، وأبيِّ بنِ كَعْبٍ، ومُعَاذِ بنِ جبلٍ». أخرجه البخاري (٤٩٩٩)، ومسلم (٢٤٦٤).

والقُرَّاء المعروفون أَسندوا قِراءَتهم إلى الصحابة، فعبدُ الله بن كثير ونافعٌ أسندا إلى أبي بن كعب، وعبدُ الله بن عامر أسند إلى عثمانَ بنِ عفان، وأسند عاصم إلى علي، وعبد الله بن مسعود، وزيد، وأسند حمزة إلى عثمان وعلي، وهؤلاء قرؤوا على النبي ﷺ، فثبت أن القرآنَ كان مجموعاً محفوظاً كلُّه في صدور الرجال أيامَ حياةِ النبيِّ ﷺ مؤلفاً هذا التأليفَ إلا سورةَ براءة، قال ابن عباس. قُلْتُ لعثمانَ: ما حملكم أن عَمَدْتُم إلى (الأنفال) وهي من المثاني وإلى (براءة) وهي من المِئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال عثمانُ: كانَ رسولُ الله ﷺ مما يأتي عليه الزمانُ، وتُنَزَّلُ عليه السُّوَرُ، وكان إذا نزلَ عليه الشيءُ، دعا بعضَ مَنْ كان

obeikandi.com

يكتُبه، فقال: ضَعُوا هؤلاء الآياتِ في السُّورَةِ التي يُذْكَرُ فيها كذا وكذا، وكانت (الأنفالُ) من أوائلِ ما أُنْزِلَ بالمدينة، وكانت (براءة) من آخر القرآن، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصتها، فَقُبِضَ رسولُ الله ﷺ ولم يُبَيِّنْ لنا أنها منها، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قرنتُ بينهما، ولم أكتبْ بينهما سَطْر: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمن الرحيمِ. أَخرجه أحمد (٣٩٩)، وأبو داود (٧٨٦) بإسنادٍ ضعيف.

فثبتَ أن القرآنَ كان على هذا التَّأليفِ والجَمعِ في زمانِ النبيِّ ﷺ ويُشْبِهُ أن يَكُونَ النبيُّ ﷺ إنما تَرَكَ جَمْعَه في مصحف واحد، لأن النسخَ كان يَرِدُ على بعضِه، ويُرفعُ الشيءُ بعدَ الشيءِ من تلاوته، كما يُنسخُ بعضُ أحكامِه، فلو جَمَعَهُ، ثم رُفِعَتْ تلاوةُ بعضه أدى ذلك إلى الاختلاف، واختلاطِ أمرِ الدين، فحفِظَهُ اللهُ في القلوب إلى انقضاء زمانِ النسخ، ثم وَفَّقَ لجمعه الخلفاءَ الراشدين.

١١٩٦- عن ابن شهاب: أَنَّ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ قَدِمَ على عُثْمانَ وكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّام في فَتْحِ أَرْمِينِيَّةَ وأَذَرْبَيْجانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ في القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمانَ: يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هٰذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا في الكِتَابِ اخْتِلافَ اليَهُودِ والنَّصارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمانُ إلى حَفْصَةَ: أَنْ أرْسِلِي إلَيْنَا بالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا في المَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّها إلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إلى عُثْمانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، وعَبْدَ اللهِ بن الزُّبَيْرِ، وسَعِيْدَ بنَ العَاصِ وعَبْدَ الرَّحْمٰن بنَ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوها في المصَاحِفِ، وقَالَ عُثْمانُ لِلْرَّهْطِ القُرَشِيِّين الثَّلاثَةِ: إذا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُم وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ في شَيْءٍ مِنَ القرآن[1]، فاكْتُبُوها بِلِسَانِ

---

(١) في رواية شعيب: «في عربية من عربية القرآن» وزاد الترمذي من طريق عبد الرحمن بن=

قُرَيْشٍ، فَإِنَّما نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمانُ الصُّحُفَ إلى حَفْصَةَ، وأَرْسَلَ إلى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ[١] مِمَّا نَسَخُوا، وأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ في كُلِّ صَحِيْفَةٍ أَو مُصْحَفٍ أَنْ يُحَرَّقَ.

هذا حديث صحيح، أَخرجه البخاري (٤٩٨٧).

قال البغوي رحمه الله: فيه البيانُ الواضحُ أن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآنَ الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نَقصوا منه شيئاً، والذي حملَهُمْ على جمعه ما جاءَ بيانُه في الحديث، وهو أنه كان مُفَرَّقاً في العُسُبِ واللخافِ وصدور الرجال، فخافوا ذهابَ بعضه بذهاب حفظته، ففزِعُوا فيه إلى خليفة رسول الله ﷺ، ودَعَوْهُ إلى جَمْعِهِ، فرأى في ذلك رأيهم، فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاقٍ

= مهدي، عن إبراهيم بن سعد في حديث الباب، قال ابن شهاب: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت، فإنه نزل بلسان قريش.

(١) في رواية شعيب: فأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، واختلفوا في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، قال الحافظ: المشهور أنها خمسة، وأخرج ابن أبي داود في «المصاحف» ص ٣٤ من طريق حمزة الزيات قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف، وبعث منها إلى الكوفة بمصحف، فوقع عند رجل من مراد، فبقي حتى كتبت مصحفي عليه، وقال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتب سبعة مصاحف: إلى مكة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً، وأخرج بإسناد صحيح إلى إبراهيم النخعي قال: قال لي رجل من أهل الشام: مصحفنا ومصحف أهل البصرة احفظ من مصحف أهل الكوفة، قلت: لم؟ قال: لأن عثمان بعث إلى الكوفة لما بلغه من اختلافهم بمصحف قبل أن يعرض، وبقي مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عرضا.

مِنْ جميعهم، فكتبُوهُ كما سَمِعوا من رسول الله ﷺ مِنْ غير أن قدَّموا شيئاً أو أخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسولُ الله ﷺ يُلَقِّنُ أصحابَه ويعلِّمُهُم ما يَنْزِلُ عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيفِ جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، وإعلامِه عند نزول كلِّ آية أن هذه الآيةَ تكْتَبُ عَقيبَ آية كذا في السورة التي يُذكر فيها كذا، روي معنى هذا عن عثمان رضي الله عنه.

وقال سعيد بن جُبَيْرٍ عن ابن عبَّاس: لم يَكُنِ النبيُّ ﷺ يعلم خَتْمَ السُّورَةِ حتى تنزِلَ: بسمِ الله الرحمن الرَّحِيم، فإذا نَزَلَ: بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم، عَلِمَ أن السورة قد خُتِمَتْ. أَخرجه أَبو داود (٧٨٨)، وصححه الحاكم ١/ ٢٣١ على شرط الشيخين، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ١٠٩ وقال: رواه البزار بإسنادين رجال أَحدهما رجالُ الصحيح.

فثبت أن سعيَ الصحابة كان في جَمْعِهِ في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ على الترتيبِ الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جملةً واحدةً في شهر رمضان ليلةَ القدر إلى السماء الدنيا، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الّذي أنزلَ فِيهِ القُرآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إنَّا أنزَلْناهُ في لَيلةِ القَدْرِ﴾ ثم كان يُنزِّلُه مُفَرَّقاً على رسوله ﷺ مدة حَياتِه عند الحاجة، وحدوثِ ما يشاءُ الله عزَّ وجَلَّ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وقرآناً فَرَقناهُ لِتَقْرَأَهُ على النَّاس على مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] فترتيبُ النزول غيرُ ترتيب التلاوة، وكان هذا الاتفاقُ من الصحابة سبباً لبقاءِ القرآن في الأمة رحمةً من الله عزَّ وجلَّ على عباده، وتحقيقاً لوعده في حفظه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا له لَحافِظُون﴾ [الحجر: ٩].

ثم إنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ كانوا يقرؤون القرآنَ بعده على الأحرف السبعة التي أقرأهم رسولُ الله ﷺ بإذن الله عزَّ وجلَّ، إلى أن وقع الاختلافُ

بينَ القُرَّاءِ في زَمنِ عثمان، وعظُمَ الأمرُ فيه، وكتب الناسُ بذلك من الأمصار إلى عثمان، وناشدوه الله تعالى في جَمْعِ الكلمة، وتداركِ الناس قبل تفاقُم الأمر، وقَدِمَ حذيفة بنُ اليمان من غزوة أرْمِنِيّة، فشافهه بذلك، فجمع عثمانُ عند ذلك المهاجرين والأنصارَ، وشاورهم في جمع القرآنِ في المصاحف على حرف واحد، ليزولَ بذلك الخلافُ، وتتفقَ الكلمة، واستصوبوا رأْيه، وحَضُّوهُ عليه، ورأوْا أنه مِن أحوطِ الأمور للقرآن، فحيئذ أرسل عثمانُ إلى حَفْصَةَ: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلتْ إليه، فأمر زيدَ بن ثابت، والرَّهْط القُرشِيين الثلاثة فنسخوها في المصاحف، وبعثَ بها إلى الأمصار.

ورُوي عن مُصْعَب بن سَعْدِ قال: لما كَثُرَ اختلافُ الناس في القرآن، قالوا: قراءةُ ابن مسعود وقراءةُ أبي، وقراءةُ سالم مولى أبي حُذَيْفَةَ قال: فجمعَ عثمانُ أصحابَ رسول الله ﷺ، فقال: إني رأيتُ أن أكتبَ مصاحِفَ على حرف زيدِ بن ثابت، ثم أبعث بها إلى الأمصارِ؟ قالوا: نِعْمَ ما رأيتَ قال: فأي الناس أعربُ؟ قالوا: سعيدُ بن العاص، قال: فأيُّ الناس أكتبُ؟ قالوا: زيدُ بن ثابت كاتبُ الوحي، قال: فَلْيُمْلِ سعيدٌ، وليكتُبْ زيدُ بنُ ثابت، فكتب مصاحِفَ، فبعث بها إلى الأمصار، قال: فرأيتُ أصحاب النبي ﷺ يقولون: أحسنَ والله عثمانُ. أخرجه ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» ٢٣، ٢٤، وصححه ابن كثير في «فضائل القرآن»: ٢١.

ورُوي عن سُويد بن غَفَلَة، قال: سمعتُ عليَّ بن أبي طالب يقول: اتَّقوا الله أيُّها الناسُ، إياكُم والغلوَّ في عثمان، وقولَكم: حَرَّاق المصاحِف، فوالله ما حرَّقها إلا على ملإٍ منا أصحاب محمد ﷺ جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءةِ التي اختلفَ الناسُ فيها؟ يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجلَ فيقول: قراءتي خيرٌ من قِراءَتِكَ، وقراءتي أفضلُ من قراءتك، وهذا شَبيهٌ بالكُفْر، فقلنا: ما الرأيُ يا

أميرَ المؤمنين؟ قال: فإني أرى أن أجمعَ الناسَ على مُصحف واحد، فإنكم إذا اختلفتم اليومَ كانَ مَنْ بعدَكم أشدَّ اختلافاً، فقلنا: نِعْمَ ما رأيتَ، فأرسل إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، فقال: لِيكتُبْ أحدُكما، ويُمْلِ الآخرُ، فإذا اختلفتُم في شيء، فارفعاه إلي، فما اختلفنا في شيء من كتاب اللهِ إلا في حرف واحد في (سورة البقرة)، قال سعيد: «التابوت» وقال زيد: «التابوه»، فرفعناه إلى عثمان، فقال: اكتبوه «التابوت» قال علي: ولو وَلِيتُ الذي وليَ عثمان لصنعتُ مثل الذي صنع. أخرجه ابن أبي داود: ٢٢ بإسنادٍ صحيح.

قال أبو مِجْلَز: يرحمُ الله عثمانَ لَو لم يجمعِ النَّاسَ على قراءةٍ واحدة، لقرأ الناسُ القرآن بالشِّعر.

وروي عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: كانت قراءةُ أبي بكر وعمر وعثمان، وزيدِ بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدةً، كانوا يقرؤون قراءةَ العامة، وهي القراءةُ التي قرأها رسولُ الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قُبِضَ فيه، وكان على طول أيامه يقرأ مصحف عثمان، ويتخذُه إماماً.

ويقال: إن زيدَ بن ثابت شهد العَرْضَةَ الأخيرَة التي عرَضها رسولُ الله ﷺ على جبريل، وهي التي بيَّنَ فيها ما نُسِخَ وما بَقِيَ.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنما سُمِّيَت هذه القراءةُ قراءةَ زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العَرْضَةَ الأخيرة، وكان يُقرىء الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمانُ كِتْبَةَ المصاحف رضي الله عنهم أجمعين. قال الحسن: اكتب في المصحف في أول الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، واجعل بين السورتين خطاً.

باب

لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو

١١٩٧- عنِ ابنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى أَنْ يُسافَرَ بالقُرْآنِ إلى أَرْضِ العَدُوِّ مَخَافَةَ أَن ينَالَهُ العَدُوُّ.

١١٩٨- عن مالك، عن نافع، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُسافَرَ بالقُرْآنِ إلى أَرْضِ العَدُوِّ.

وقال مَالِكٌ: أَرى ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ العَدُوُّ.

هذا حديث صحيح أَخرجه البخاري (٢٩٩٠) عن عبد الله بن مسلمة، وأخرجه مسلم (١٨٦٩) عن يحيى بن يحيى، كلاهما عن مالك.

قال البغوي رحمه الله: حملُ المصحف إلى دار الكفر مكروهٌ، كما جاء في كتاب الحديث، ولو كتب إليهم كتاباً فيه آيةٌ من القرآن، فلا بأس، كتب النبي ﷺ إلى هرقل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية. أخرجه البخاري (٧).

ويُكرهُ تنقيشُ الجُدُرِ، والخَشَبِ والثِّيابِ، بالقرآن وبذكرِ الله سبحانه وتعالى، ورَخَّصَ بعضُهم، في تحريق ما يجتمع عنده من الرسائل فيها ذِكْرُ الله تعالى.

وروى مَعْمَرٌ، عن ابن طاووس قال: كان أبي يحرِّقُ الصحف إذا اجتمعت عنده فيها الرسائلُ.

وقال الوليد بن مسلم: سألتُ مالكاً عن تفضيض المصاحف، فأخرجَ إلينا مُصْحفاً، فقال: حدثني أبي، عن جدِّي: أنهم جمعوا القرآنَ على عهد عثمان، وأنهم فضَّضوا المصاحف على هذا أو نحوِه.

obeikandl.com